

في العمق

كيف عرقل أردوغان
تطوير سلاح الجو التركي

الحسابات الخاطئة لأنقرة تتسبب في تآكل قوتها الجوية



ليس تماما بعد الآن

أولى للطائرة من الحظيرة. وهذا الموعد النهائي ليس واقعيًا أيضًا، بحسب الباحث التركي.

ويقول إنه في الواقع لا تزال "تي-إف-إكس" في مرحلة التصميم قبل المفاهيمي، ويعبارة أخرى لم يتم تصميمها بعد، لأنه لا يمكنك تصميم طائرة مقاتلة قبل اختيار المحرك الذي سيشتغلها. ولا تملك تركيا تكنولوجيا محركات الطائرات، لكنها تدعي أنها تطورهما. وهذا الإجراء أيضا هو لاستهلاك المحلي.

ويؤكد أن كبار مسؤولي أردوغان يقوضون أنفسهم عندما يحاولون إقناع الرأي العام بأن صناعة الدفاع المحلية في تركيا تصنع المعجزات في تكنولوجيا الطائرات المقاتلة.

وفي مناظرة تلفزيونية جرت مؤخرا، أخرج مسعود كاشين، أحد كبار مستشاري الرئيس التركي ما يشبه طائرة صغيرة من جيبه وعرضها على الكاميرات، زاعما أن "هذه ستكون الطائرة المقاتلة الوطنية المحلية في تركيا".

وعمل النظام التركي على تعليق خطته لتفعيل نظام صواريخ "إس-400" خوفا من فرض المزيد من العقوبات الأميركية، في الوقت الذي يعاني فيه الاقتصاد من تدهور بسبب سوء السياسة الاقتصادية لأردوغان وتداعيات أزمة كورونا.

وعلى الرغم من أن الهدف الرسمي لتفعيل نظام الدفاع الجوي الروسي كان في أبريل 2020، إلا أن الجيش التركي يبقى على منظومة "إس-400" معطلة، وهذا يعني أن أنقرة دفعت مبلغا كبيرا قدره 2.5 مليار دولار لموسكو مقابل نظام ربما لن تقوم بتفصيله أبدا.

وسخر السفير الروسي لدى أنقرة اليكسي يروف من تردد تركيا في تفعيل المنظومة الروسية عندما قال "هذه عملية بيع. لقد استلطنا أموالنا ويمكن للأتراك ركوب الصواريخ للذهاب إلى الشاطئ أو لحمل البطاطا معهم. هذا ليس من اهتماماتنا". وكان ذلك محرجا للغاية لتركيا، وفقا لبيكيل.

لكن العرض مستمر. وفي 21 يونيو الماضي، قال إسماعيل ديمير المسؤول الأول عن المشتريات الدفاعية في تركيا "إن قضية الصناعة الدفاعية قضية بالغة الأهمية في الدبلوماسية".

ويقول بيكيل إن ديمير كان محقا في أن استحوذ تركيا على بنية الدفاع الجوي الروسية التي تبلغ قيمتها 2.5 مليار دولار، وعدم قدرتها حتى على تفعيل المنظومة، وعواقب هذا الاستحواذ هي أمثلة نموذجية على كيفية إساءة التعامل مع صناعة الدفاع في الدبلوماسية.

جديد، وتعديل القواعد الجوية ونظم الإصلاح والخدمة والصيانة الجديدة مكلفا للغاية، ويستغرق وقتا طويلا، وصعبا من الناحية التكنولوجية. وتفخر تركيا، من الناحية النظرية، ببرامجها الخاص بالطائرات المقاتلة المحلية "تي-إف-إكس". وتدير شركة توساش التركية لصناعات الطيران منذ سنوات برنامج "تي-إف-إكس"، حيث تعلن سلطات الدفاع والفضاء التركية عن "أخبار عاجلة" بشكل شبه يومي لإطلاع الشعب على أحدث المعلومات عن "تي-إف-إكس"، وذلك في إطار الدعاية الداخلية.

وفي الآونة الأخيرة، أعلنت توساش أنها بدأت في بناء ثاني أكبر نفق رياح أسرع من الصوت في أوروبا لإجراء اختبارات مستقبلية لـ"تي-إف-إكس". وقالت الشركة إنها وقعت اتفاقا مع جامعة تركية لنظام برمجيات المقاتلة التركية.

ويعتبر بيكيل أن تلك الأخبار المتداولة في الداخل التركي عبارة عن "قصص خيالية بحب الأتراك سماعها". ويقول إن الرواية التي ترعاها الحكومة حول المقاتلة التركية في صنع الأهداف هي للاستهلاك المحلي فقط.

ويوضح أن "قلة من الأتراك يعرفون أن هندسة الفضاء الخاصة بهم هي على بعد عقود في أحسن الأحوال من بناء طائرات الجيل الجديد".

وكانت شركة توساش تهدف في البداية لتسيير الطائرة "تي-إف-إكس" لأول مرة في العام 2023، وهو الذكرى المئوية للجمهورية التركية. وهي تتحدث الآن عن 2025/2026 لأخذ نموذج

ويقول بيكيل إنه ليس هناك الكثير من الخيارات المتاحة أمام تركيا لتقليل التدهور الحاصل في قوة ردة جوية، مشيرا إلى أن أنقرة لا تزال تمارس الابتزاز في علاقاتها مع الولايات المتحدة والحلفاء في الناتو عبر الحديث عن أنها قد تختار طائرة مقاتلة روسية "سو-57" في حال شعرت بأنها مهددة بسبب عدم وجود طائرات مقاتلة من الجيل الجديد.

ويعتبر الباحث التركي أن هذا الأمر "خداع"، حيث يعرف جنرالات القوات الجوية جيدا أن التحول من الطائرات ذات المعايير التي يستخدمها حلف شمال الأطلسي إلى الطائرات الروسية بعد 70 عاما ليس مثل تغيير سيارة تركية لصالح سيارة يابانية. وسيكون بناء هيكل تشغيلي

وتواجه القوة الجوية التركية العديد من التحديات في المستقبل، فهناك مخاوف من تزايد تآكل تلك القوة في غياب عمليات التطوير، حيث يرى خبراء أن ذلك السلاح مفيد بشكل كبير، خاصة بعد عملية الانقلاب الفاشلة في عام 2016 والزج بالمئات من الطيارين المتدربين في السجون.

وتدير القوات التركية أسرابا من الجيل الرابع من طائرات "إف-16" و"إف-4" القديمة في عملياتها ضد المسلحين الأكراد في جنوب شرق تركيا وكذلك في شمال العراق وسوريا ولبنان.

وكانت مجلة فوربس الأميركية قد أشارت في فبراير الماضي إلى أن تركيا تجري تحديثات واسعة النطاق لأسطولها من طائرات "إف-16" المقاتلة، وأن هذه الجهود ضرورية لأنه من غير المرجح أن تشتري أنقرة أي بدائل من الجيل الخامس لفترة طويلة قادمة.

وحصلت تركيا على طائرات "إف-16" من الولايات المتحدة في أواخر ثمانينات القرن الماضي، وأنتجت محلها الطائرة المقاتلة الشهيرة بموجب ترخيص، كونها واحدة من الدول الخمس التي تنتج الطائرة محليا. وتمتلك القوة الجوية التركية اليوم ما مجموعه 270 طائرة "إف-16" سي.دي. في مخزونها، وجميعها من طرازات بلوك "30-40-50". وسيتمتع من أجل التخلص التدريجي من معظم هذه الطائرات في غضون السنوات العشر إلى الخمس عشرة المقبلة على أساس الحاجة إلى تحديثها، حيث تثار تساؤلات حول ما إذا الكونغرس الأميركي سيسمح ببيع قطاع غيار الطائرات المقاتلة وتقديم الخدمات الضرورية لعمليات التحديث.

ويشير بيكيل إلى أن أنقرة لا تزال تمارس الابتزاز في علاقاتها مع الولايات المتحدة والحلفاء في الناتو عبر الحديث عن أنها قد تختار طائرة مقاتلة روسية "سو-57" في حال شعرت بأنها مهددة بسبب عدم وجود طائرات مقاتلة من الجيل الجديد.

ويضيف أنه من غير المستغرب أن ينتهي الاجتماع دون التوصل إلى حل، وهذه أخبار سيئة للقوات الجوية التركية. وخطط كبار الضباط العسكريين في تركيا على مدى أكثر من عقد لتطوير قدرات القوة الجوية المستقبلية على افتراض أنهم سيحصلون على ما لا يقل عن خمسة طائرة من طائرات "إف-35" بدءا من العام الماضي، لكن خلافات أردوغان مع واشنطن عطلت كل المساعي التركية في هذا الجانب. وفي غمرة الخلافات أطلق الرئيس التركي تصريحات بشأن بدء بلاده مع حلول العام 2023 إنتاج مقاتلات من الجيل الخامس، وذلك للرد على منع واشنطن تزويد أنقرة بمقاتلات "إف-35"، متعددة المهام من الجيل الخامس، والتي تجمع كافة واجبات القتال الجوي بأنواعها.

دخان أسود
في سماء كابول

بايدن غير متفائلين البتة، ويحذرون من احتمال حقيقي لعودة تنظيمي القاعدة وداغش إلى الظهور في المناطق التي تسيطر عليها طالبان، بينما موسكو تبدو قلقة من حشود برزجها تنظيم داعش في الشمال الأفغاني على حدود دول هي حليفة تاريخية لروسيا. الدخان الأسود الذي تصاعد في كابول لا يندثر بالخبر إن لم نقل أنه نذير شؤم؛ وقدرة قوات الجيش الأفغاني الذي تسلم قاعدة باغرام بعد مغادرة الأميركيين وقوات التحالف ستكون موضع اهتمام ومتابعة لأنها ستحدد خلال الأشهر المقبلة من هي الجهة التي ستسيطر سيطرتها على كامل البلاد المقسمة عمليا بين الحكومة المركزية والحركات الجهادية وعلى رأسها حركة طالبان.

والقلق كان واضحا في المؤتمر الصحافي الذي عقده الرئيس بايدن في البيت الأبيض ليجيب على تساؤلات الإعلام حول الانسحاب الأميركي ومستقبل البلاد في ظل الفوضى الأمنية التي رافقت الانسحاب، والتي أدت إلى تعرض القاعدة لنهب من مجموعات من اللصوص بعد أن غادر الأميركيون تاركين أبواب القاعدة بلا أجهزة أمان. لم يكن بايدن مرتاحا لإحاح الصحافيين في السؤال عن إمكانية اندلاع حرب أهلية بعد المغادرة

العراق وليبيا وأذربيجان ومناطق أخرى. لكن لجوء الرئيس التركي إلى روسيا لشراء منظومة صواريخ "إس-400" للدفاع الجوي تسبب في تعميق التوتر في العلاقات مع الولايات المتحدة وفرضها لعقوبات على النظام، وكان انعكاس تلك العقوبات مباشرة على القوة الجوية لأنقرة الذي أدى إلى تآكلها شيئا فشيئا، حيث يهددها بمصير مشابه لما جرى مع النظام الإيراني بعد سقوط نظام الشاه عام 1979.

وتقول الولايات المتحدة إن منظومة الدفاع الجوي الروسية لا تتوافق مع انظمة الدفاع لحلف شمال الأطلسي "ناتو"، الذي تنتمي إليه أنقرة وكذلك واشنطن.

وبينما حذر مسؤولون كبار في دوائر المخابرات الأميركية وقادة عسكريون في البنتاغون وأعضاء في الكونغرس من الحزبين من أن الحكومة الأفغانية لن تكون قادرة على مواجهة طالبان بمفردها بعد مغادرة القوات الأميركية، يتأخر إعلان واشنطن عن خططها البديلة لحماية المطار المدني في كابول، وتأمين خروج أمن

المترحمين والمعامل والموظفين من المدنيين المتعاقدين الذين عملوا مع القوات الأميركية لتسهيل مهماتها في أفغانستان على مدى عشرين عاما، والذين سيكونون هدفا لانتقام طالبان التي تتحرك وتنتشر بصورة مقلقة. خروج الجيش الأميركي من أفغانستان دونما تنسيق جلي لما سيكون عليه اليوم التالي في هذا البلد المزق بالحروب المتتالية والانقسام المجتمعي والتطرف الديني استنصر الذكرى المشؤومة لإجلاء الموظفين الأميركيين من سايفون في العام 1975، حيث تقارب المناخات التي أدت إلى اتخاذ قرارات مشابهة حين تيقن الرئيس بايدن من أن القوات الأميركية لن تتمكن من فعل الكثير إن استمرت في أفغانستان مع تقدم طالبان من جهة، وعجز واضح لدى الحكومة المركزية في إدارة الأمور على المدى الطويل من جهة أخرى.

ويشير تقرير تصدره جامعة براون الأميركية ويعكف على تحليل وإحصاء كلفة حروب الولايات المتحدة الخارجية خلال القرن الفائت إلى أن حربها في أفغانستان كلفت ما يقارب 2.26 تريليون دولار. فهل رضيت واشنطن بنصيبها من هذه الحرب وقررت أن تتغاضى عن خسائرها المادية تلك مقابل أن تحفظ حياة مواطنيها من جحيم المفترق السياسي والأمني في أفغانستان؟ نتساءل.

مصطلح "الدخان الأبيض" بدلالاته السياسية يعود إلى تقليد اعتمده المجمع البابوي في الفاتيكين حين تطلق مدخنة كنيسة سيستينا الأكبر في المقر الرسمي للبابا دخانها، في رمزية خاصة بالكنيسة، وتعلن من خلالها عن انتخاب بابا جديد يخلف من رحل. وقد تم اعتماد هذا المصطلح في الأدبيات السياسية للإشارة إلى صدور قرار منظر أو الإعلان عن حدث جليل. أما الدخان الأسود الذي تصاعد في سماء العاصمة الأفغانية كابول عشية رحيل القوات الأميركية عن قاعدة باغرام الجوية وتسليمها إلى القوات المحلية الحكومية مع احتفاظ الجيش الأميركي بسلطته لحماية القوات الأفغانية، فله شأن آخر.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

قاعدة باغرام هي آخر معاقل الولايات المتحدة في أفغانستان والقاعدة الجوية الأضخم التي بناها الاتحاد السوفيتي في الثمانينات، واستخدمها الأميركيون على مدى عقدين من الزمن مركزا للقيادة والعمليات الجوية، وفيها سجون خصصت لمن يتم القبض عليهم من مسلحي طالبان والجماعات الجهادية المقاتلة.

لا توجد خيارات أمام تركيا لتقليل تدهور قوة الردع الجوية



وراهنت أنقرة كثيرا على هزيمة الرئيس الجمهوري دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية الأميركية من أجل إعادة تصحيح مسار العلاقات مع واشنطن، لكنها اصطدمت بمواقف أكثر تشددا من خلفه جو بايدن، الذي تعهد قبيل فوزه بفتح كافة الملفات الخلافية وخاصة انتهاكات حقوق الإنسان والتدابير القمعية في الداخل.

ويقول بوراك بيكيل الباحث التركي والزميل في منتدى الشرق الأوسط بالولايات المتحدة، إن إحدى القضايا الأكثر سخونة في المناقشة التي استمرت 50 دقيقة بين أردوغان وبايدن خلال قمة حلف الأطلسي منتصف يونيو الماضي، كانت حول استحوذ تركيا على منظومة الدفاع الجوي روسية الصنع "إس-400" بعيدة المدى والعقوبات الأميركية اللاحقة، بما في ذلك طرد أنقرة من الكونغرس يوم متعدد الجنسيات الذي تقوده واشنطن والذي يبني الطائرات المقاتلة من الجيل الخامس من طراز "إف-35".

ويضيف أنه من غير المستغرب أن ينتهي الاجتماع دون التوصل إلى حل، وهذه أخبار سيئة للقوات الجوية التركية.

وخطط كبار الضباط العسكريين في تركيا على مدى أكثر من عقد لتطوير قدرات القوة الجوية المستقبلية على افتراض أنهم سيحصلون على ما لا يقل عن خمسة طائرة من طائرات "إف-35" بدءا من العام الماضي، لكن خلافات أردوغان مع واشنطن عطلت كل المساعي التركية في هذا الجانب.

وفي غمرة الخلافات أطلق الرئيس التركي تصريحات بشأن بدء بلاده مع حلول العام 2023 إنتاج مقاتلات من الجيل الخامس، وذلك للرد على منع واشنطن تزويد أنقرة بمقاتلات "إف-35"، متعددة المهام من الجيل الخامس، والتي تجمع كافة واجبات القتال الجوي بأنواعها.

وخطط كبار الضباط العسكريين في تركيا على مدى أكثر من عقد لتطوير قدرات القوة الجوية المستقبلية على افتراض أنهم سيحصلون على ما لا يقل عن خمسة طائرة من طائرات "إف-35" بدءا من العام الماضي، لكن خلافات أردوغان مع واشنطن عطلت كل المساعي التركية في هذا الجانب.



قاعدة خالية بلا مستقبل آمن